مجلة
البحوث الإعلامية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة الأزهر

رئيس مجلس الإدارة :

الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

رئيس التحرير :

الأستاذ الدكتور / حمدى حسن محمود

سكرتيرو التحرير :

د / محمود عبد العاطى مسلم

د / عبد العظيم إبراهيم خضر

د / محمد شعبان وهدان

أحمد منصور هيبه

المشرف الفنى

محمود حسن الليثى

المراسلات

توجه باسم الأستاذ الدكتور / رئيس التحرير على العنوان التالى :

جامعة الأزهر - كلية اللغة العربية بالقاهرة قسم الصحافة والإعلام - تليفون ٥١٠١٤٦٦

هيئة المحكمين

الأستاذ الدكتور / سعد ظلام

الأستاذ الدكتور / إبراهيم إمام

الأستاذة الدكتورة / جيهان رشتى

الأستاذ الدكتور / محيى الدين عبد الحليم

الأستاذ الدكتور / كرم شلبى

الأستاذ الدكتور / على عجوه

الأستاذة الدكتورة / ماجى الحلوانى

الأستاذة الدكتورة / ليلى عبد المجيد

الأستاذ الدكتور / أشرف صالح

الأستاذ الدكتور / عدلى رضا

الأستاذ الدكتور / حسن عماد

جميع الآراء الواردة فى هذه المجلة تعبر عن رأى صاحبها ولا تعبر عن رأى المجلة

طبعت بمطبعة جامعة الازهر

تليفون ٥١٢١٤٩٩

الدور الوطني للإذاعة الفلسطينية

« هنا القدس »

في الفترة من : (١٩٣٦ - ١٩٥٠)

بقلم الدكتور

حسين أبو شنب (*)

مقدمة :

كانت الإذاعة قبل « ماركوني » أصلاً نظرياً عالجه العلما، في مؤلفاتهم ، وبعد دراسات وأبحاث جليلة ، استطاع المخترع الإيطالي « ماركوني » من تحويل الأمل والنظريات إلى حقيقة واقعية [١] ولتصبح لغة عالمية مسموعة إلى كافة أنحاء العالم ، وقد شهدت الإذاعة في العشرينات تقدماً ملحوظاً في أوربا ، وأمريكا ، واليابان ، واستراليا ، وجنوب إفريقيا ، بينما شهدت الدول الشيوعية والإفريقية الإذاعة في الثلاثينات ، كما شهدتها الدول العربية وغيرها من الدول الخاضعة للنفوذ الاستعماري في الثلاثينيات والأربعينيات [٢] ، وقد عدت الإذاعة اليوم ضرورة لكل إقليم ، ولكل منطقة وربما لكل طائفة من الطوائف والشرائح الاجتماعية ، والثقافية ، والاقتصادية ، فالتطور الهائل في تكنولوجيا الاتصال أزال الحواجز ، وحرك الكوامن ، وكانت الإذاعة بذلك الأسبق والأقدر على الانتشار السريع وتخطي الحواجز الثلاثة « الأمية - المسافة - قصور وسائل المواصلات » [٣] .

ويؤرخ لظهور أول برنامج إذاعي باللغة العربية في الوطن العربي في ٣١ / ٥ / ١٩٣٤م من خلال راديو القاهرة وهو بداية أول محطة رسمية للإذاعة العربية ، وكانت « إذاعة هنا القدس » دار الإذاعة الفلسطينية ، الثانية في سلم الإذاعات العربية في الوطن العربي سنة ١٩٣٦م غير أن الظروف السياسية والعسكرية التي تعرضت لها فلسطين في تلك الأثناء وما بعدها قد شغلت مؤرخي الاعلام والمهتمين بنشأة الإذاعات العربية عن صواب التاريخ لهذه الإذاعة فكان الخلط مع غيرها من الإذاعات أو البرامج أو الأركان الإذاعية في الإذاعات العربية عن فلسطين ، وساد الاعتقاد بأن الإذاعة الفلسطينية الأولى ترتبط بتلك البرامج والأركان ، وهو ما تثبته هذه الدراسة ، وتلقي

(*) رئيس قسم الإعلام التربوي - كلية التربية الحكومية - غزة

الضوء على حقيقة هذه الإذاعة ومراحلها وتطورها ودورها الوطني في أصعب مراحل التاريخ الفلسطيني ، وتزيح الستار عن الظلم الذي أصاب فلسطين في ميدان الإذاعة .

مشكلة الدراسة :

تتجد مشكلة هذه الدراسة في كونها أول دراسة علمية أكاديمية تلقي الضوء على نشأة وتطور الإذاعة الفلسطينية « هنا القدس » باعتبارها الإذاعة الثانية في الوطن العربي ظهرت في ٣٠ / ٣ / ١٩٣٦م ، بعد الإذاعة المصرية الرائدة في ميدان الإذاعة العربية في ٣١ / ٥ / ١٩٣٤م ، وقد شكلت هاتان الإذاعتان مدرسة إعلامية وإذاعية عربية مناهضة للدور البريطاني المنحاز للمنظمات اليهودية ، ودعم الهجرة اليهودية ، في سياق تحقيق الوطن القومي لليهود في فلسطين ، وقد استطاعت هذه الإذاعة بالرغم من إشراف حكومة الإنتداب البريطاني أن توجه السياسة البريطانية ، وأن تكون صوت الشعب والجماهير في مواجهة السياسة البريطانية المنحازة ، والممارسات العدوانية للمنظمات اليهودية ، وقد كان لهذا الدور الوطني للإذاعة الفلسطينية أثره في تحريك الوعي والتصادم مما جلب للإذاعة المتاعب ، والضغوط التي أسفرت عن إقالة مدير الإذاعة الول وهو الشاعر الثائر إبراهيم طوقان كما سنرى في سياق هذه المعالجة .

أهمية الدراسة :

تتحدد أهمية هذه الدراسة في كونها تلقي الضوء على هذه الإذاعة « هنا القدس » في الفترة الممتدة من مارس ١٩٣٦م وحتى إبريل عام ١٩٥٠م ، بمراحلها المختلفة المحددة وفق مديريها والتي حيث انتقلت إلى مدينة رام الله عام ١٩٤٨م ، بفعل القصف العدواني على القدس والإذاعة ، وبعد توحيد الضفتين الشرقية والغربية لنهر الأردن وتنصيب الأمير عبد الله ملكاً للملكة الأردنية الهاشمية ، ظلت هذه الإذاعة « هنا القدس » بذات الاسم ولكن باسم إذاعة المملكة الأردنية من القدس ، وهي الأم للإذاعة الأردنية بعد ذلك من عمان ، وبناهز عمرها عمر الإذاعة المصرية بالتمام والكمال [٤] وتديرها شركة « توت » البريطانية مع شركة ماركوني وبإشراف بريطاني .

أهداف الدراسة :

تتحدد أهداف هذه الدراسة في :

١ - إلقاء الضوء على الإذاعة الفلسطينية « هنا القدس » باعتبارها الثانية في سلم الإذاعات العربية بعد الإذاعة المصرية .

٢ - تطور هذه المرحل وساعات الإرسال ومجال التغطية وحجم الإستماع .

٣ - تحديد أهداف الإذاعة وفق المفهومين البريطاني والعربي الفلسطيني في سياق الظروف السائدة في المنطقة .

٤ - الدور الوطني لهذه الإذاعة في التعبئة الوطنية من خلال السياسة البرامجية في مراحلها المختلفة .

أقسام الدراسة :

تنقسم هذه الدراسة إلى مقدمة تشتمل على تحديد مشكلة الدراسة وأهميتها وأهدافها ، وخاتمة تلخص الدراسة ، وتبين أهم الاستنتاجات والتوصيات التي تقترحها هذه الدراسة في ضوء المعالجة من خلال المحاور الثلاثة التالية :

١ - المحور الأول ويشتمل على دراسة لمنشأة هذه الإذاعة وفق الظروف السياسية والإنتشار الإذاعي في الوطن العربي ، وفي العالم ، وتطور هذه الإذاعة من حيث البرامج ومال التغطية والاستماع .

٢ - المحور الثاني ويهتم بالوقوف على أهداف هذه الإذاعة في الإطارين البريطاني والعربي الفلسطيني من خلال سمات هذه الإذاعة في مراحلها المختلفة .

٣ - المحور الثالث ويهتم بالدور الوطني للإذاعة الفلسطينية « هنا القدس » في التعبئة الوطنية ، وتعزز دور الجماهير في تحركاتها ومواجهاتها للسياسة البريطانية والمنظمات اليهودية المدعومة من بريطانيا بهدف توسيع الهجرة اليهودية وإقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين .

المحور الاول :

الإذاعة في فلسطين :

عرفت فلسطين نوعين من الإذاعات ، الأولى هي إذاعة « هنا القدس » والتي تعالجها هذه الدراسة ، والثانية هي « محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية » التي أقامتها بريطانيا في ديسمبر عام ١٩٤١م ، في مدينة « جنين » الفلسطينية ثم انتقلت إلى مدينة « يافا » بعد إتمام مبناها الكبير ، ثم إلى القدس حين تعرضت يافا إلى العدوان من قبل

المنظمات اليهودية ، ثم إلى قبرص لذات السبب ، وإلى توقفت لإمتناع العاملين فيها من الفلسطينيين والعرب احتجاجاً على العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م [٥] ، وهي إحدى الإذاعات الدولية في حرب الأثير .

وشهدت الخمسينيات محاولات إنشاء إذاعة فلسطينية في مدينة غزة عام ١٩٥٧م بإشراف إذاعة « صوت العرب » لكن الظروف حالت دون ذلك فكانت إذاعة فلسطين من القاهرة في إطار « صوت العرب » [٦] مما تزال حتى اليوم ، وهي غير إذاعة « صوت فلسطين ، صوت منظمة التحرير الفلسطينية » التي أنشأتها منظمة التحرير في الأول من مارس عام ١٩٦٤م مواكبة لرسالة المنظمة والقمة العربية بالقاهرة عام ١٩٦٤م والتي ظلت تبث رسالتها حتى توقفت بعد موافقة الدول العربية على مبادرة وزير الخارجية الأمريكية روجرز عام ١٩٦٩م ، وكان الرئيس جمال عبد الناصر قد أهدى حركة التحرير الوطني الفلسطيني - فتح - (العاصفة) إذاعة لمدة ساعتين عرفت باسم (إذاعة العاصفة) من القاهرة ، إنضمت فيما بعد إلى إذاعة (صوت فلسطين) التي أصبح لها عدد من الفروع، أهمها في بغداد ، ودمشق ، وعدن ، وصنعاء ، والجزائر ، وبيروت ، ثم إنتقلت هذه الإذاعةكلية إلى بيروت بعد مبادرة الرئيس أنور السادات عام ١٩٧٨م ، وكان لهذه الإذاعة دور بارز في معارك لبنان وبيروت عام ١٩٨٢م ، وإنتهت بإنتهاء القتال والخروج من لبنان لينتقل البث المركزي لهذه الإذاعة من بغداد ، ثم تشرذف مع إحتلال العراق للكويت عام ١٩٩٠م فتنتقل مركزياً إلى الجزائر ، لتتوقف في يوليو عام ١٩٩٤م نهائياً بعد إتفاق السلام في « أوسلو » عام ١٩٩٣م [٧] .

وبعد توقيع إتفاق السلام الإسرائيلي الفلسطيني قامت هيئة الإذاعة والتليفزيون الفلسطينية ، فانطلقت إذاعة (صوت فلسطين) في ٢ / ٧ / ١٩٧٤م ، تذيع خطاب الرئيس ياسر عرفات بعد دخوله قطاع غزة ، وفي ٣ / ٤ / ١٩٩٦م بدأت هذه الإذاعة بثها العادي والمستمر من مدينة رام الله بعد أن ظلت مدة عام ونصف من مدينة أريحا [٨]. كما ظهر أول بث تجريبي للتليفزيون الفلسطيني في سبتمبر عام ١٩٩٤م بمساعدات فنية فرنسية أقامت محطات إرسال على تلة المنطار المشهورة في مدينة غزة ، وعلى تردد كما أقامت محطة تقوية في مدينة خان يونس ، وما تزال تجربة التليفزيون في بداياتها الأولى الطامحة إلى التقدم .

بداية إذاعة « هنا القدس » :

في الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر يوم الاثنين الموافق الثلاثين من مارس « آذار » ١٩٣٦م ، إنطلق صوت الشاعر العربي الفلسطيني إبراهيم طوقان عبر الأثير لأول مرة يقول : (هنا القدس ، دار الإذاعة الفلسطينية) وذلك في حفل إفتتاح كبير بحضور المندوب السامي البريطاني ، اللفتنانت جنرال (السيرآرثر واكهوب) ، معلناً بدء العمل في مصلحة الإذاعة الفلسطينية - هنا القدس ، القسم العربي ، وهو أحد الأقسام الثلاثة للإذاعة مع العبرية والإنجليزية [٩] .

شارك في حفل الإفتتاح وفد مصري كبير مع عدد من الوفود العربية ، وضم الوفد المصري عدداً من كبار الفنانين من أمثال : مصطفى رضا بك عازف القانون الأول ، ومصطفى العقاد ، والشيخ علي محمود ، والفنانة الكبيرة نجاة علي ، وقد رأس الوفد مدير الإذاعة المصرية محمد سعيد لطفي ، وقد رحبت مجلة « الراديو المصرية » في عددها الذي صدر يوم ٢٨ / ٣ / ١٩٣٦م ، بالوليد الجديد واصفة مبنى الإذاعة وأقسامها والمسئولين فيها ، وبرامج الإذاعة الإسبوعية ، وقالت : « سوف يصبح لنا جار في الأثير في يوم الإثنين ٣٠ / ٣ / ١٩٣٦م إذ تفتتح محطة الإذاعة اللاسلكية الفلسطينية ، في احتفال يبدأه الجنرال واكهوب ، المندوب السامي في فلسطين في الساعة الرابعة والنصف ، ثم يستمر البرنامج الخاص بحفل الإفتتاح حتى الساعة العاشرة والنصف حين تتوقف الإذاعة » [١٠] .

موقع إذاعة « هنا القدس » :

بدأت « هنا القدس » إرسالها المؤقت من فندق بالاس ، الواقع في شارع مأمن الله بالقدس ، وشغلت غرفتين من الفندق ، ثم انتقلت إلى بناية الحبشة من أجمل بنايات القدس ، خارج سور القدس ، في المنطقة الشمالية الغربية ، وتتصل بقرية « لفتا » على طريق المسافرين من القدس إلى يافا [١١] ، وذكر نصري الجوزي في مذكراته عن الإذاعة الفلسطينية أن دار الإذاعة كبيرة مكونة من تسع غرف للإذاعة ، وخمس غرف أخرى للأعمال الهندسية [١٢] ويرى الإذاعي ، موسى الدجاني أن بناء دار الإذاعة تابع لإدارة البريد ، وتقع في شارع الملكة ملبساندا (Queen Milisanda) ، وهو نفس المكان الذي يذيع منه اليوم (راديو صوت إسرائيل) [١٣] .

موجة الإذاعة ومجالها :

بثت إذاعة « هنا القدس » عند إنطلاقتها على موجة متوسطة طولها « ٤٤٩,١ » متراً ، أي ما يعادل « ٦٦٨ » كيلو سايكل ، وبقوة عشرين كيلووات ، وهي تعادل في ذلك الوقت ، قوة الإذاعة المصرية ، التي كانت تبث على موجة متوسطة طولها « ٤٨٣,٩ » متراً أي ما يعادل « ٦٢٠ » كيلو سايكل ، وبقوة عشرين كيلو وات ، وكانت هاتان الإذاعتان الأقوى بين إذاعات المنطقة وتسمعان بوضوح في مصر ، وفلسطين ، والعراق ، وسوريا ، ولبنان ، والأردن ، والسودان والحجاز ، واليمن وأكد ذلك لمجلة الراديو المصرى السيد أحمد زكي الخياط ، مدير البرق والبريد العام ، ورئيس الوفد العراقي إلى مؤتمر المواصلات السلكية واللاسلكية المنعقد بالقاهرة حينذاك حيث قال في مقابلة أجرتها المجلة معه : « إن أهل العراق يستمعون إلى ما تذيعه محطة فلسطين بكل وضوح » [١٤] .

وفي استفتاء لمستمعي الراديو في لبنان وسوريا وفلسطين لإذاعات ، القاهرة ، والقدس ، والشرق الأدنى (بافا) ودمشق ، وبيروت ، ولندن ، ونيويورك ، وموسكو ، نظمته الجامعة الأمريكية في بيروت بإشراف البروفيسور (سيتوارت ، ك ، د ،) جاءت نتائجه من حيث الإستماع الأكثر ، إن إذاعة القاهرة جاءت في المرتبة الأولى ، يليها إذاعة لندن في المرتبة الثانية ، وإذاعة القدس في المرتبة الثالثة ، وبيروت في المرتبة الرابعة ، والشرق الأدنى (بافا) في المرتبة الخامسة ، ودمشق في المرتبة السادسة مع نيويورك ، بينما جاءت إذاعة موسكو في المرتبة الثامنة والأخيرة [١٥] .

تطور ساعات الإرسال :

يتضح من واقع حصر البرامج المنشورة في مجلة الراديو المصرى أن ساعات الإرسال كما جاءت في العدد (٥٤) بتاريخ ٢٨ / ٣ / ١٩٣٦ ، تبلغ عشر ساعات ونصف للأقسام الثلاثة ، العربية ، والعبرية ، والإنجليزية ، عدا ساعات البث للنقل الخارجي أيام الجمعة ، والأعياد والمناسبات الدينية الإسلامية والمسيحية ، وذكر الجوزي في مذكراته [١٦] أن هذه الساعات موزعة على النحو التالي :

- أربع ساعات ونصف باللغة العربية .
- ثلاث ساعات ونصف باللغة العبرية .
- ساعتان ونصف باللغة الإنجليزية .

ويذكر الأستاذ / عزمي النشاشيبي ، وهو يوضح التطور في ساعات الإرسال من البداية حتى عهده في المرحلة الثالثة ، كانت برامج القسم العربي عند افتتاح الإذاعة قبل عشر سنوات حوالي ساعتين ، وتطورت حتى أصبحت ست ساعات موزعة على ثلاث فترات إذاعية ، الصباح الباكر ، وإذاعة الظهيرة ، وإذاعة المساء . [١٧] وفي مقابلة مع الإذاعي موسى الدجاني ، قدر مدة البث في البداية ساعتين ،فثلاثة ، فأربعة حتى زادت على التسعة [١٨] وذلك للقسم العربي ، ما عدا ساعات البث للقسم العبري والإنجليزي . ومن خلال مراجعة البرنامج اليومي للإذاعة الفلسطينية المنشورة في مجلة الراديو المصري يتبين لنا أن ساعات الإرسال ظلت موزعة حتى استقل القسم العربي في برامجه دون إنقطاع وفق الفترات إبتداء من شهر يونيو ١٩٤٢م ، وبلغ عدد ساعات الإرسال ست ساعات موزعة على الفترات الثلاثة وكما يلي :

الفترة الصباحية من الساعة ٦,٤٥ - الساعة ٨,٠٠ ، لمدة ساعة وربع .

فترة الظهيرة من الساعة ١,٤٥ - الساعة ٣,٠٠ ، لمدة ساعة وربع .

الفترة المسائية من الساعة ٦,٠٠ - الساعة ٩,٣٠ ، لمدة ثلاث ونصف ساعة .

وظلت على حالها عدا إذاعات النقل الخارجي في المناسبات ، وحتى إنتقال الإذاعة إلى مدينة « رام الله » في ٢٦ / ٤ / ١٩٤٨م ، حيث اقتضى ذلك تعديل الخطة الإذاعية البرامجية وتقليص ساعات الإرسال إلى ساعتين ونصف فقط موزعة على أربع فترات كما يلي [١٩] :

الفترة الصباحية من الساعة ٧,٤٥ - الساعة ٨,١٥ .

فترة الظهيرة من الساعة ١,٤٥ - الساعة ٢,١٥ .

فترة العصر من الساعة ٦,٠٠ - الساعة ٧,٠٠ .

فترة المساء من الساعة ٨,٤٥ - الساعة ٩,١٥ .

مراحل إذاعة « هنا القدس »

مرت هذه الإذاعة بأربع مراحل متصلة ترتبط كل مرحلة بالمدير المسئول وذلك في الفترة الممتدة من مارس ١٩٣٦م إلى إبريل عام ١٩٥٠م ، وقد عبرت كل مرحلة عن حالة

سياسية وفنية ، وتواصل دورها الوطني دون إنقطاع في مكافحة سياسة الإنتداب البريطاني من ناحية ، ومقاومة المنظمات اليهودية التي تصاعدت ممارساتها العدوانية والإستيطانية من ناحية ، وفي المواجهة حث الجماهير على التصدي واليقظة والوحدة ، وكشف المخططات اليهودية والصهيونية ، وفرض ذلك على قيادة الإذاعة العمل بحرص وحنكة وعناية في توجيه الكتابة الإذاعية والإرتقاء بمستواها الفني واللغوي ، والتنوع في التناول ومخاطبة كل الفئات والمستويات والشرائح الاجتماعية ، وقد إنعكست شخصية مدير الإذاعة على المراحل التي أدارها وسنجمل ذلك على النحو التالي [٢٠] :

المرحلة الأولى (١٩٦٣ - ١٩٤٠) :

وهي مرحلة الإنشاء والتأسيس والإنسجام مع الأوضاع السائدة والتي يعبر عنها الغليان الشعبي في مواجهة الأطماع الصهيونية والإنحياز البريطاني وبالرغم من أن هذه المرحلة كانت متشابكة البث للبرامج للأقسام الثلاثة إلا أن مديرها الشاعر الثائر إبراهيم طوقان استطاع أن يجعل منها مرآة لذوق البلاد ، وموضع إهتمام الجماهير والتعبير عن أنشطة فئات الشعب في كل المجالات ، فخابت بذلك آمال حكومة الانتداب التي هدفت من ورا ، هذه الإذاعة أن تكون لها عونا في تنفيذ سياستها والتقريب بينها والشعب الفلسطيني والعربي في مواجهة دعاية دول المحور ، التي تلقى قبولاً لدى الشعب ، فلذلك أخضعتها لسلطة الرقيب .

المرحلة الثانية (١٩٤٠ - ١٩٤٤) :

أسمت هذه المرحلة بالهدوء والإتزان وحسن المواءمة بين سلطة الإنتداب وحق الجماهير في الدعم والتأييد ، وهو مايتفق مع شخصية مديرها عجاج نويهض ، الكاتب السياسي الحزبي الذي استعان بالكتاب العرب الكبار من أمثال ، عباس العقاد ، وعبد القادر المازني ، وعبد العزيز البشري ، ونسيم بزبك ، وسليمان تقي الدين ، وتوفيق الحكيم وغيرهم ، كما استعان كذلك بالفنانين المصريين والعرب ، واهتم بالشباب والتدريب والتعليم ، وقد نال حق الاستقلال خلال هذه الفترة لتصبح إذاعة القسم العربي مستقلة دون تداخل في البرامج مع الأقسام الأخرى ، وفي هذه الفترة أيضاً ، ظهرت إذاعة الشرق الأدنى بميزانيتها الضخمة وإمكاناتها الواسعة ، مما فتح باب التنافس والارتقاء بالبرامج وتنوعها [٢١] .

المرحلة الثالثة (١٩٤٤ - ١٩٤٨) :

تولى مسئولية هذه المرحلة عزمي النشاشيبي ، وهو صحفي متدرب ومؤهل علمياً ، استفاد من تجربة من سبقه ، طوقان ، ونويهض ، واستعان في الإدارة والتنظيم بنخبة من الكفاءات والمثقفين من أمثال محمد أديب العامري ، وراجي صهيون ، وعصام حماد ، الذي وصف هذه المرحلة بأن الإذاعة أبرزت وجه الحياة الثقافية في فلسطين على أروع ما يكون ، وكادت الإذاعة أن تكون المرآة العريضة الوحيدة للحياة الثقافية العامة في البلاد [٢٢] كما استطاع النشاشيبي أن ينقل الإذاعة نقله فيه ، وأن يوثق العلاقة مع الإذاعات العربية وبخاصة الإذاعة المصرية ، وقال من خلال ميكرفون إذاعة القاهرة مناشداً الجمهور العربي إلى الاستماع للإذاعات العربية « استمع إلى جميع الإذاعات العربية فهي شقيقات تعمل على خدمتك والترفيه عنك برسائلها الخاصة واختصاصاتها المحلية ، ولكنها جميعاً تعمل مجتمعة متضامنة ، متساندة على خدمة أم واحدة ، اللغة العربية ، لغة محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن » [٢٣] .

المرحلة الرابعة (١٩٤٨ - ١٩٥٠) :

وهي الفترة التي تم انتقال الإذاعة من القدس إلى رام الله بعد أن اتضحت مؤامرة الانتداب في دعم المنظمات اليهودية لتحقيق الوطن القومي لليهود في فلسطين ، فجاء قرار التقسيم في ٢٩ / ١١ / ١٩٤٧ بالضغط الأمريكي المباشر والذي وصفه الدكتور / ستيفن رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت بأنه صفحة من أسود الصفحات في تاريخ السياسة الدولية الأمريكية [٢٤] ويقتضي هذا القرار أنهت بريطانيا الانتداب وبدأت في تسليم المرافق للمنظمات اليهودية إضافة إلى الدعم الكامل ، وكان شهر إبريل عام ١٩٤٨ ، شهر سقوط المدن الفلسطينية ، وتعرضت القدس للوحشية اليهودية البالغة وبخاصة في أعقاب إغتيال عبد القادر الحسني في ٩ / ٤ / ١٩٤٨ ، وأصاب الإذاعة الكثير من القصف الوحشي .

في هذه الفترة أدركت قيادة الإذاعة خطورة الحالة فعقدت العزم على الرحيل إلى رام الله وتسريب أجهزة الإذاعة بالتدريج دون أن ينقطع الإرسال ، وبعد التخلص من العناصر اليهودية وأغلبهم في المواقع الفنية ، وهم يحملون جنسيات دول أوروبا التي ساهمت في دعم الهجرة اليهودية ، وتم الانتقال بحراسة الجيش الأردني ، وتحت جنح الظلام ، وكانت

إذاعة القدس موضع تساؤل الأنصار عن مصيرها . الذي كشفت عنه إذاعة القاهرة . الشقيقة الكبرى لإذاعة القدس ، وهي تستضيف مديرها عزمي النشاشيبي ، قالت : « يسألنا كثير من المستمعين عن مصير دار الإذاعة الفلسطينية ، وندائها العربي المأثور ، (هنا القدس) بعد اضطراب الأمور في الأراضي المقدسة . وليس أحب إلينا في هذه المناسبة من أن نقدم للمستمعين حضره الأستاذ عزمي النشاشيبي ، مدير الإذاعة الفلسطينية ، ونزيل القاهرة ، هي هذا الأسبوع ليجيب عن تساؤلات المستمعين » [٢٥] .

وكانت إجابة عزمي النشاشيبي عبر أثير إذاعة القاهرة وكما نشرته مجلة الإذاعة المصرية بقوله : «مستقبلنا بيد الله، وحاضرنا في رام الله، وماضينا كان في القدس» [٢٦] ويعكس ذلك حجم الأخطار التي عاشتها هذه الإذاعة ، والمعاناة في الانتقال والانتقار إلى الامكانيات الفنية والمالية ، لكن « هنا القدس » واصلت ندا ها من رام الله على موجة متوسطة طولها « ٤٤٣ » متراً ولمدة ساعتين فقط في مراحلها الأولى موزعة على أربع فترات ، وظلت على حالها حتى تم توحيد الضفتين رسميا في ٢٤ / ٤ / ١٩٥٠ ، وقد اتخذت الحكومة الأردنية عدة اجراءات إدارية من بينها ربط دار الإذاعة الفلسطينية « هنا القدس » بوزارة الخارجية الأردنية في مايو ١٩٤٩ [٢٧] وظلت هذه الإذاعة تبث من القدس ورام الله حتى الأول من سبتمبر عام ١٩٥٦ حيث تم افتتاح فرع لهفي عمان والقدس وبقوة « ٢٠٠ » كيلو وات ، وحتى تم افتتاح الإذاعة الأردنية في مارس ١٩٥٩ وبعد احتلال القدس والضفة الغربية وسيناء وغزة والجولان تم انفصال الإذاعة الأردنية عن القدس ورام الله ، وهي ما تعرف اليوم بإذاعة المملكة الأردنية الهاشمية [٢٨] أما الإذاعة الفلسطينية « هنا القدس » فقد غاب نداؤها عام ١٩٥٠م ولكنها تبقى عامرة في القلوب .

المحور الثاني:

أهداف إذاعة الفلسطينية (هنا القدس) :

لم يأت إنشاء الإذاعة الفلسطينية في مرحلتها المبكرة منفصولاً عن حركة انتشار الراديو في العالم ، وأهمية الكلمة المسموعة ذات السحر في إطار التقدم الفني بوجه عام ، وحالة التنافس الدولي على المنطقة العربية بوجه خاص ، والذي جعل من فلسطين نقطة إعلامية تتقدم الدعاية الدولية المتنافسة ، والتي غمرت المدن الفلسطينية بأجهزة الإذاعة كبيرة الحجم من قبل إيطاليا وألمانيا مما دفع بريطانيا إلى الإسراع في تزويد المدن والقرى الفلسطينية بأجهزة الراديو بإعتبارها الدولية المنتدبة .

وكان عام ١٩٣٦ هو البداية الحقيقية لمرحلة جديدة من الكلمة المذاعة في العالم العربي . فقد تواكب ذلك مع توسع دور الإذاعة المصرية في وقت إنشاء إذاعة فلسطين بالقدس ، وقيام الإذاعة العراقية ، إضافة إلى ظهور الجاهات ومواقف ذات طابع سياسي انعكست على منهج الإذاعة وشخصيتها بوجه عام ، ويفسر سيطرة القصر الحاكم في المنطقة العربية [٢٩] ولقد كافحت الإذاعة المصرية طويلا بهيئاتها المتوالية لمواجهة السياسة البريطانية المهيمنة على نظم الإذاعة ومناهجها ، في محاولة للحد من التدخلات الأجنبية حتى تم تعصير الإذاعة المصرية والتخلص من الهيمنة البريطانية وانتقالها إلى الإدارة الوطنية المصرية في ١ / ٦ / ١٩٤٧ لتكون الإذاعة المصرية بذلك أداة الدولة والشعب معاً ، وتم تعديل برامج الإذاعة تعديلاً شاملاً يتناسب مع روح الاستقلال [٣٠] وهو ما لم يتوفر للإذاعة الفلسطينية بالقدس وفق صك الانتداب الذي تنص مادته الثانية والعشرون على إعتبار اللغة العبرية لغة رسمية إلى جانب اللغة العربية والانجليزية في فلسطين [٣١] وهو ما جعل العمل الإذاعي وإدارته بالغ الدقة والحساسية ، كمن يمشي على خيط رفيع ممتد في الهواء ، وهكذا كانت سياسة الإذاعة الفلسطينية التي إنحازت إلى الشعب مقابل الانحياز البريطاني إلى أعداء الشعب كما يتضح في دراسة أهداف الإذاعة .

(أ) أهداف الإذاعة بريطانيا :

أدركت بريطانيا أهمية الإذاعة في المنطقة بعد أن لمست على أرض الواقع تأثيرها من خلال ما حققته هيئات الإذاعة في ألمانيا وإيطاليا وروسيا على شعوب المناطق الواقعة في مجال نفوذها ، فقد كانت هذه الإذاعات تنقل خطب زعمائها وأفكارهم إلى العالم بعامة ، والمناطق العربية بخاصة ، وما يجري فيها من حركات وطنية وتطلعات تحررية واستقلالية ، وقد عبر عن هذه الحالة ، المدير الثاني للإذاعة ، الفلسطينية ، عجاج نويهض بقوله : « وجاء يوم صار فيه اقتنا ، المذياع منتشراً في منازل الطبقات الوسطى ، وحتى الدنيا بعد أن كان مقصوراً على الموسرين ، وهذا منذ الثلث الأول من القرن العشرين ، فحدثت ثورة في الاتصالات اللاسلكية البشرية العالمية ، وأصبح العالم ساحة واحدة ، والاستماع إلى الأخبار العالمية شيئاً من الغذاء اليومي الذي لاغنى عنه » [٣٢] .

في ذلك الوقت كانت مصر رائدة ، سياسياً ، وفنياً ، وإذاعياً ، فهي الإذاعة الأولى في المنطقة ، ورأت حكومة الانتداب ، أن الوقت مناسب لإنشاء محطة إذاعية لاسلكية ، تستطيع متابعة التطورات من وجهة النظر الانجليزية ، نفياً أو تأييداً ، وبخاصة أن الإذاعة

المصرية بإمكاناتها الفكرية ، تذيع أخباراً سياسية محلية وعالمية تستحوذ على قبول الشعب العربي بوجه عام ولا تنصاع للمنهج البريطاني ، وهو ما تخشاه حكومة الانتداب على مخططاتها وبخاصة أنها أحست بتعاطف الثوار الفلسطينية مع الإذاعة المصرية ، واعتقدت أن إنشاء إذاعة فلسطينية بإشرافها سيؤدي إلى خدمة أغراضها [٢٣] وهو ما يفسر بحثها الدقيق عن مدير للإذاعة في ضوء هذه المفاهيم .

فما هي إذن أهداف الإذاعة الفلسطينية في ضوء هذه الحالة والظروف السائدة ، والسيطرة البريطانية .

وهل نجحت بريطانيا في تحقيق أهدافها ؟

في هذا السياق نحاول التعرف على أهداف بريطانيا من إنشاء هذه الإذاعة والتي نلخصها كما يلي :

١ - رغبة بريطانيا في تنمية العلاقة والاتصال مع مناطق نفوذها ، وشرح وتدعيم المبادئ التي تسعى إلى نشرها وتعميمها ثقافياً وسياسياً واجتماعياً وعسكرياً .

٢ - استقطاب مجموعات من الصفوة والنخبة ، تكون قادرة على تمرير الأهداف البريطانية إلى الشعب الفلسطيني والعربي ، وإيجاد مفاهيم سياسية وثقافية لدى العامة مرتبطة بالسياسة البريطانية وأنشطتها العامة .

٣ - محاولة إيجاد تفهم جديد يتسم بالتعاطف والإعجاب بالسياسة البريطانية بديلاً عن الاعجاب والتعاطف السائد مع ألمانيا وإيطاليا ومحاولة نزع الكراهية التي تعمقت لدى العامة بسبب الإنحياز البريطاني للمنظمات اليهودية وتسهيل تحقيق الهجرة اليهودية والوطن القومي اليهودي التي أسهمت الدعاية الإيطالية والألمانية في كشف هذه السياسة المنحازة في سياق حرب الأثير في العالم بين دول المحور دول الحلفاء .

٤ - محاولة التسلل إلى فئات الشعب بإتباع سياسة التمييز والتفريق في المعاملة ، والعمل والتعليم ، وشغل الوظائف الرئيسية في المؤسسات العامة ، والجمع بين هؤلاء وأمثالهم من اليهود لتحقيق التعايش في نطاق سياسة الأمر الواقع .

٥ - محاولة إيجاد حالة من التفاعل بين ثقافات الشعوب الخاضعة لنفوذها ومجاراتها للمفاهيم الجديدة الرافضة للقوة العسكرية والرغبة في التطور العلمي والثقافي والإعلامي .

٦ - تمرير الإجراءات الإدارية التي من شأنها تكريس الأمر الواقع فيما يتعلق بالتقسيم وخلق الوطن القومي لليهود ، مثل اقتراح المجالس النيابية ، واللقاءات بين الأطراف ، وسن القوانين من أمثال قرار اللغات الرسمية ، وطوابع البريد ، وغير ذلك من الإجراءات التي تعزز الوجود اليهودي على حساب الأرض العربية والشعب العربي الفلسطيني .

٧ - تهدئة المشاعر الشعبية الغاضبة في مواجهة السياسة البريطانيةالمنحازة ، والمتصدية للإستفزازات المتصاعدة من قبل المنظمات اليهودية .

(ب) أهداف الإذاعة فلسطينياً :

الإذاعة فن وصناعة ، تعتمد على عوامل متعددة من الإدارة والتنظيم ، وتلمس رغبات المستمع وحاجاته ، وشروط العمل وظروفه كما يعدد انفاقها إلى المران الطويل ، والخبرة العريضة ، والكفاءة الواسعة كأية صناعة أو مهنة أخرى غيرها [٢٤] وهي تجربة جديدة في فلسطين والمنطقة العربية ، تستدعي الوعي العميق والادراك العريق بحيث تؤدي غرضها المنشود ، والآمال المنوطة بها ، وقد عبر عن ذلك عزمي النشاشيبي ، المدير الثالث للإذاعة الفلسطينية في حديث له من الإذاعة المصرية قال فيه : « لنا في محطة القدس هدف وغاية ، ولنا فيها رسالة ، نسعى رجالاً ونساءً لتأديتها ، سعياً حثيثاً متواصلاً ، ورسالتنا في إذاعتنا هي ، بعض الثقافة العربية القومية ، وتغذيتنا ، وتعهدها ونشرها بشتى الطرق والوسائل » [٢٥] .

ويتضح من هذا القول بأن قيادة الإذاعة واعية لدورها ومدركة للأهداف الخفية لدولة الانتداب ، ومن خلال مراجعتنا للسياسة العامة الإذاعة في مراحلها المختلفة ، والأهداف التي تسعى لتحقيقها يتبين لنا حجم الصراع السلمي وغير العلني بين قيادة الإذاعة والمشرفين على الإذاعة من حكومة الانتداب ، وقد عالج عجاج نويهض عزمي النشاشيبي ذلك بهدوء وحنكة واتزان ، بينما خاض إبراهيم طوقان معركة الرفض والتحدي للسياسة البريطانية علناً وبصراحة أدت إلى فرض سلطة الرقيب ، والايقاع بينه وبين بريطانيا ، التي لم تجد مفراً من إقالته ونقله إلى بغداد بالرغم من حالته المرضية التي أدت إلى وفاته بعيداً عن أرضه ووطنه .

ومن هذا السياق نخلص إلى تحديد هذه الأهداف للإذاعة الفلسطينية على النحو التالي :

١ - التصدي للسياسة البريطانية المنحازة للصهيونية ، ومقاومة القوانين الجائرة والهادفة إلى تقييد حرية الصحافة وحرية القائمين على القسم العربي . وكانت الصحافة الفلسطينية ، والمصرية ، والعربية بدور مهم وشامل في مقاومة هذه السياسة ودعم القائمين على الإذاعة ، وتخفيف الهجمة عليها من المنظمات اليهودية ، وكشف الانحياز البريطاني .

٢ - الكشف عن مؤامرة الوطن القومي لليهود ، والمساعدات البريطانية والاستعمارية الهادفة إلى تقسيم فلسطين ، وفتح أبواب الهجرة ، والاستيلاء على الأراضي المحكومية .

٣ - حث الجماهير على الاتحاد والتضامن في مواجهة الأخطار والأطماع اليهودية ، والدعوة إلى توسيع حلقة المواجهة من خلال الدعم العربي والتنسيق العربي .

٤ - الحفاظ على عروبة فلسطين وتراثها وثقافتها العربية ، ومقدساتها ، وحشد الأقلام والمثقفين والكفايات المختلفة في كل المجالات للدفاع عن عروبة فلسطين بالوعي والحقائق .

٥ - القاء الضوء على الشخصيات العربية البارزة ، ودورها في الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والسياسية ، والتعريف باشخصيات العربية وأدوارها في الحياة العربية لتأكيد التفاعل والتكامل بين فلسطين والأقطار العربية ، وقد أشار إلى ذلك عزمي النشاشيبي في كلمة له عن راديو القاهرة ، حيث قال : « ولذلك فنحن نجعل من أهدافنا تعريف حوادث البلاد العربية ، وشخصياتها ، وفي هذا من الخير ، الشيء الكثير للعرب والعروبة [٣٦] » .

٦ - دعم الثقافة العربية من مختلف جوانبها ومجالاتها من خلال الراديو الذي وصفه عجاج نويهض ، المدير الثاني للإذاعة بأنه صاحب رسالة مقدسة إلى الأمم ، إلا وهي رسالة نشر الثقافة الصحيحة بأوسع معانيها التي يشترك في أدائها ، العالم ، والمؤرخ والأديب ، والكاتب ، والشاعر ، والباحث ، والناقد ، والممثل ، والمغني ،

والكاتب ، والشاعر ، والباحث ، والناقد ، والممثل ، والمغني ، والمطرب ، من رجال ونساء ، فكانت الإذاعة بذلك داراً للعروبة وأبنائها وفي كل المجالات [٣٧] .

٧ - تعريب اللغة العربية الفصحى ، ومقاومة الأفكار الهدامة الساعية إلى ادخال اللغة العامية الدارجة ، بدلاً من الفصحى ، وذلك بحجة أن الشعب - كما يدعون ، يفضل اللغة الدارجة لأنه يفهمها بسهولة ، وينفر من لغة امرىء القيس ، والنابغة ، فكانت الفصحى قضية الإذاعة في مواجهة فئة غير عربية ومتغربة ، وكان إبراهيم طوقان من أكثر المدافعين والمتصدين لهذه الهجمة وبالحجة والبرهان ، مؤكداً أن عامة الناس يفهمون لغة المذياع والصحافة ويتجاوزون في قضاياها بصرف النظر عن مستوياتهم ، ولا يعقل أن يناقش المرء شيء لا يفهمه [٣٨] .

٨ - الترويح والامتاع واستثمار أوقات الفراغ ، بما يريح الأعصاب ويبعث على الهدوء والطمأنينة من خلال ما يذاع من أغنيات وموسيقى ومونولوجات فكاهية ، وحكايات ظريفة ، وأحاديث متنوعة ، وبرامج متنوعة ومعلومات عامة واطلالات علمية وعالمية، وقد نجحت الإذاعة الفلسطينية في أن تملأ مكتبتها بالإنتاج الفني العربي ، من مصر ، واليمن ، والحجاز ، وبغداد ، ولبنان ، وسورية ، والاردن ، مما جعلها موضع اهتمام المستمعين ، وكان للحفلات الفنية أكبر الأثر في نفوس المستمعين مما يؤكد حقيقة التفاعل بين الإذاعة والجمهور .

يتضح من قراءتنا لأهداف الإذاعة الفلسطينية « هنا القدس » وفق المفهومين ، البريطاني المهيمن ، والعربي الفلسطيني ، حجم الصراع الخفي في توجيه الإذاعة ، ويعكس طبيعة السياسة الاستعمارية وعلاقتها بمناطق النفوذ في العالم ، كما تعكس قدرة المسئولين عن الإذاعة في وضع السياسة الإذاعية التي توائم بين الظروف والإمكانات ، كما حدث مع الإذاعة الفلسطينية التي استطاعت أن تكون في خدمة الجماهير وقضاياها ، وفي مواجهة سياسة الانتداب ، والتصدي للهجرة اليهودية واحداث الفرقة والفتنة ، والحرص على اقامة علاقة ايجابية مع الشعب العربي ، وكسب تأييد المثقفين والأدباء والفنانين العرب في مواجهة سياسة الانتداب والمنظمات اليهودية ، وهو ما يؤكد على الدور الوطني للإذاعة الفسطينية في مواجهة التحديات السياسية والثقافية التي يدعمها الاستعمار وحكومة الانتداب وهو ما نعالجه في المحور القادم من هذه الدراسة .

المحور الثالث :

دور إذاعة هنا القدس في التعبئة الوطنية :

استندت حرب الأثير بين دول المحور من ناحية وبخاصة المانيا وإيطاليا ، ودول الحلفاء وبخاصة بريطانيا من ناحية ثانية وسارعت كل واحدة من هذه الدول إلى تطوير سياستها الإعلامية والإذاعية بخاصة بهدفين ، أولهما الوصول إلى مناطق النفوذ الخاصة بكل دولة والمحافظة عليها والتواصل مع شعوبها ، والثانية الوصول إلى مناطق النفوذ الخاصة إلى مناطق نفوذ الدول الأخرى والتنافس حولها ، وقد اتسع الاستخدام السياسي للراديو في فترة ما بين الحربين ، كما استخدمت دول المحور الإذاعة في التثقيف المذهبي داخلياً ، والحرب النفسية عبر البحار ، وفي الأعداد للعدوان أثناء الحرب العالمية الثانية [٣٩] .

حاولت بريطانيا أن تجعل من إذاعة القدس صوتاً لها في سياق الدعاية الدولية ، والتنافس الدولي وبخاصة داخل منطقتنا العربية وبخاصة فلسطين ، غير أن الانحياز البريطاني إلى الحركة اليهودية ، والتسهيلات غير المحددة لاقامة الوطن القومي لليهود جلب لبريطانيا كراهية العرب بعامة ، والفلسطينيين بخاصة ، وتوجهت الدعاية العربية والصحافة بخاصة إلى دعم موقف الإذاعة المصرية والفلسطنطة في كشف الدور البريطاني المنحاز والتركيز على مواجهة السياسة البريطانية ، مواجهة الهجرة اليهودية والتسلل إلى الأرض العربية بمشاريع اقتصادية ، وثقافية. فكان ذلك قوة للإذاعة وتعزيزاً لدورها الوطني في التعبئة والتحريض واليقظة .

ويتضح الدور الوطني لإذاعة القدس منذ أقسم مديرها الأول إبراهيم طوقان أحلام الانتداب فانحاز إلى حركة الجماهير الثائرة وساعدها على تحديد مسارها في المواجهة والتحدي ، فكان اختيار طوقان لإدارة الناعة الفلسطينية خيبة أمل ندمت بريطانيا عليه وبخاصة مع الضغوط اليهودية المتواصلة لتنحيته بعد أن أدركت المنظمات اليهودي مدى التأثير الذي تحدثه هذه الإذاعة ، فكانت الإذاعة نبض الشعب والأحرار ، وتبين لبريطانيا أن الوظيفة لم تحل دون القيام بالدور الوطني ولم تقعد الوظيفة إبراهيم طوقان عن تقديم رسالته إلى الوطن الذي تفاني في حبه ، وجمع له هم قلبه ، فاختار برامجه لتكون قريبة من مستوى العقول على اختلاف طبقاتها ، وتشتمل على القرآن الكريم ، والأحاديث ، والأمثال الشعبية ، والمعلومات والتاريخ والأدب والفن والموسيقى والمسرح [٤٠] .

وتعتبر المرحلة الأولى من حياة إذاعة القدس أكثر المراحل تصادماً مع بريطانيا والحركة اليهودية التي ركزت جهودها لمتابعة وتفسير كل ما يصدر عن الإذاعة في حملة منتظمة للضغط على بريطانيا لعزل إبراهيم طوقان عن الإذاعة . ويروي نصري الجوزي حجم الحملة التي تعرضت لها الإذاعة ومديرها من الهيئاتالصهيونية بعد إذاعة (رواية صلاح الدين الأيوبي) في ١٩٣٦/١١/١ ، وكذلك بعد إذاعة مسرحية (الشعب والقيصر) من مسرح شكسبير ، فقد وجدوا فيها تحريضاً على الانتداب واليهود ، مما أدى إلى توقيف فرقة الجوزي وتوجيه اللوم لمدير الإذاعة وهو إبراهيم طوقان [٤١] .

ويصور الدكتور محمد زكي المحاسني هذه الحالة النضالية للإذاعة الفلسطينية بأن الناس كان يتطلعون إلى إبرتهيم طوقان بقلوبهم ، فقد وضع الإذاعة في خدمة القضية والوطن في مواجهة الانتداب والصهيونية فيقول : « وضع إبراهيم خطته لخدمة الجمهور ، وخدمة التراث العربي الأدبي ، واصطدمت الغابتان ، وثارت الصهيونية ، وامتدت الرقابة إلى كل ما يذيعإبراهيم ، وإلى كل ما يعد من تمثيليات وأحاديث وقصص » [٤٢] .

نجحت حملة التحريض من قبل الهيئات اليهودية على برامج القسم العربي ، في تحريك سلطة الرقيب البريطاني على الإذاعة ، ومن هذه الأعمال المهمة حديث له بعنوان : (حقيقة وفاء السموأل) اثبت فيه بأسلوب شيق ممتع ، وبالوثائق والأسانيد التاريخية ، أن السموأل ، الشاعر الجاهلي ، كان ذانزعة يهودية ، يحب المال ، وهو ما دفعه إلى ايثار الذبح لابنه خارج الحصن ، طلباً لزيادة في المال ، وليس من باب الوفاء ، وكان امرؤ القيس قد وعده بالمال إذا استجاب لطلبه ، ويعلق إبراهيم طوقان عل ذلك « لو كانت القضية قضية وفاء لباتت حقيقتها ، ولكن هي هبات فلقد كانت قضية مال ، بل هي غريزة حب المال تغلبت على حب ولده ، فضحى به على مذابح جشعة وطمعه » [٤٣] .

ومن ثمرات هذه الإذاعة في البناء الوطني أناشيد الأطفال والشباب ، وحب الوطن ، ومنها أيضاً سلسلة المحاضرات التي أشرف عليها بنفسه ، وموضوعات (شخصيات فلسطينية ، ومن فضائل هذه الإذاعة ، الأحاديث العلمية لعالم فلسطين ، « قدري طوقان » [٤٤] وسلسلة الأحاديث الأدبية والثقافية والفكرية والسياسية لكبار المثقفين والأدباء والمفكرين العرب ، من أمثال ، محمد كرد علي ، وخليل مردم ، وشفيق جبري ، وسامي الكيالي ، وفؤاد الخطيب ، وبشارة الخوري (الأخطل الصغير) وله قصيدته المشهورة في حفل افتتاح الإذاعة ، وطه الراوي ، وعبد الوهاب عزام ، ونسيم بربك ،

وعباس العقاد ، والمازني ، والحكيم ، والشيخ عبد العزيز البشري والدكتور محمد عوض وغيرهم ، وكذلك من كبار الفنانين من أمثال أم كلثوم ، ومحمد عبد الوهاب ، وفريد الأطرش ، وكان عجاج نويهض المدير الثاني للإذاعة قد استن سنة طيبة وهي تكريم كبار المشاركين في برامج الإذاعة في حفل سنوي في مدينة القدس ، تحية لهم وتوثيقاً للعلاقات العربية (٤٥) .

ومما يدل على الدور الوطني لهذه الإذاعة ، ومدى الغيظ الذي أصاب الحركة اليهودية ، ما تقوم به المنظمات اليهودية من اعتدا ، على الإذاعة وعلى سبيل المثال وضع قنابل موقوتة في مكاتب الإذاعة ، فانفجرت إحداها وأودت بحياة أديب متصور من موظفي الإذاعة فرثاه إبراهيم طوقان بقصيدة كان لها تأثيرها الكبير في نفوس الجماهير فزادت من توثيق العلاقة مع الجماهير ، ويقول طوقان في هذه القصيدة التي يجمع فيها أديب مع عفيف طوقان لذات الغرض :

عرفت « أديباً » فاحببته ... وسرعان ما غاب هذا الحبيب
ويا لهفي ، الآن كلمته ... وفي لحظة بات لا يستجيب
فذاك ابن عم وهذا صديق ... وذاك « عفيف » وهذا « أديب »

لم يقتصر الدور الوطني لإذاعة القدس على مثل هذه القضايا وإنما تجاوز ذلك إلى التفاعل مع الجماهير ، وفتح الحوار معهم وكان للنشاشيبي برنامج يومي بعنوان (بيني وبين المستمعين) كما قامت الإذاعة باستطلاع آرا ، المستمعين ، والتعرف على مدى الاهتمام ، ولزيادة المشاركة ، وهو ما تقوم به الإذاعة هذه الأيام في تطويرها الحديث ، وكانت تستقبل رسائل الشباب وابداعهم الثقافي والفكري والأدبي ، كما كان للإذاعة اهتمام بطلاب المدارس فجعلت ركناً للإذاعة المدرسية ، وآخر للعمال ، وكذلك للصحة ، والرياضة والمناسبات الوطنية والدينية ، الإسلامية والمسيحية .

ومن الطرائف التي أوردها عجاج نويهض في حياته الإذاعية ، حديث للخوري (نقولا الخوري) موجه إلى العرب ، مسلمين ومسيحيين ، في سياق سلسلة أحاديث : الحج وجعل عنوانه (محمد والنصارى) فترك هذا الحديث أثراً طيباً في نفوس العرب والمسلمين ، وعزز من حرصهم على الوحدة الوطنية والتضامن والمحبة والتآلف (٤٦) وقد

أفسد مثل هذا التوجه الأهداف البريطانيةغير المعلنة ، للفتنة الطائفية والدينية ، وعزز ذلك من دور الإذاعة الوطني واحترام الشعب لها والحرص على متابعتها .

لقد حرص مديرو الإذاعة كل في مرحلته على أن تظل الإذاعة ملك الشعب والوطن، وأن تبتعد في الوقت نفسه عن التصادم مع الانتداب ، ودون خدمة أهدافه ، فكانت الإذاعة بحث وطنية في ندائها ، منظمة في رسالتها ، ناجحة في أدائها ، وقد توجه الباحث بسؤال إلى أحد الإذاعيين القدامى الذين عملوا في المرحلة الثالثة وحتى الإعلان وهو الأستاذ عصام حماد ، عن مدى نجاح الإذاعة في دورها الوطني فقال في رسالته للباحث : « نجحت إلى حد ما ، الإذاعة الفلسطينية « هنا القدس » في خدمة القضية العربية ، بفضل وطنية بعض موظفيها من العرب ، وذلك بالطبع رغم وجود الانتداب البريطاني على فلسطين (٤٧)

الخاتمة والنتائج

اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وثلاثة محاور ، يتناول المحور الأول ، نشأة وتطور إذاعة هنا القدس ، ومراحلها التاريخية الممتدة من عام ١٩٣٦ وحتى عام ١٩٩٥ ، بينما تناول المحور الثاني ، أهداف هذه الإذاعة في سياق المفهومين ، البريطاني ، المشرف المهيمن ، والمفهوم العربي الفلسطيني المقام للسياسة البريطانية المنحازة للمنظمات اليهودية الساعية لانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، واهتم المحور الثالث بالدور الوطني لإذاعة (هنا القدس) من خلال المواقف الوطنية التي عبرت عنها هذه الإذاعة خلال فترة الصراع المحتدم ، وأورد الباحث أمثلة على هذا الدور خلال مراحل الإذاعة المختلفة وبخاصة في مرحلة النشأة التي أدارها الشاعر إبراهيم طوقان .

وفي سياق التناول لهذه الإذاعة عبر المحاور الثلاثة يقف الباحث أهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة والتي نجملها على النحو التالي :

١ - الإذاعة الفلسطينية « هنا القدس » هي الإذاعة الثانية في الوطن العربي من حيث النشأة بعد الإذاعة المصرية الأم، التي احتفلت بافتتاح الإذاعة الفلسطينية بوقد كبير.

٢ - أسهمت « هنا القدس » بدور فاعل في التعبئة الوطنية والتحريض وتحريك الجماهير في مواجهة سياسة الانتداب المنحازة للمنظمات الصهيونية والوطن القومي اليهودي ، فكان لها دورها في دعم التضامن والتوحد بين الشعب مسلمين ومسيحيين دفاعاً عن الوطن .

٣ - أظهرت هذه الإذاعة حجم العلاقة المصرية الفلسطينية المحفورة عبر التاريخ في قلوب الشعبين المصري والفلسطيني والمعبر عنها بالتفاعل والمشاركة الايجابية في شتى المجالات في مواجهة الاطماع الصهيونية وسياسة الانتداب .

٤ - أبانت هذه الدراسة عن الوجود الإعلامي الفلسطيني المبكر وبخاصة في ميدان الإذاعة، والتي شكلت به الإذاعتان المصرية والفلسطينية مدرسة إعلامية رائدة لها جمهورها العريض ، وما تزال تمد الإذاعات العربية والناطقة بالعربية بالمبدعين في هذا المجال .

٥ - استقطبت هذه الإذاعة كبار الكتاب والأدباء والشعراء والمثقفين العرب من مختلف الأقطار ، فكانت مركزاً ثقافياً وإعلامياً عربياً ، يدحض افتراءات وادعاءات المعتدين والطامعين حول فلسطين من أنها أرض بلا شعب .

٦ - أثبتت هذه الدراسة أقدمية إذاعة فلسطين وتصحيح خطأ بعض المؤرخين الإعلاميين الذين خلطوا بين الإذاعة الفلسطينية والإذاعة الاردنية ، أو الإذاعات الفرعية في بعض الإذاعات العربية ، فهي الثانية بعد الإذاعة المصرية في الوطن العربي بينما بدأت الإذاعة الاردنية في مرحلتها الأولى عام ١٩٥٦ ، ورسمياً عام ١٩٥٩م .

٧ - تكشف هذه الدراسة عن أن الإذاعة الفلسطينية ظلت متصلة البث بعد انتقالها من القدس في ابريل عام ١٩٤٨ إلى رام الله ودون انقطاع حتى تم توحيد الضفتين عام ١٩٥٠ ، لتبدأ الإذاعة الاردنية من محطة الارسال الفلسطنطة وبنفس العاملين وهيئة الإذاعة الفنية والإدارية من الفلسطينيين .

٨ - تكشف هذه الدراسة أن فلسطين شهدت نوعين من الإذاعات ، احداهما الإذاعة الدولية المعروفة بمحطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية من مدينة بافا عام ١٩٤١ ، والثانية هي إذاعة القدس باشراف حكومة الانتداب .

٩ - وأبانت هذه الدراسة أيضاً أن فلسطين عرفت الإذاعة الهاجرة منذ مارس ١٩٦٥ وحتى يوليو ١٩٩٤ ، من القاهرة وبيروت وبغداد والجزائر ، وفروعها المتعددة باشراف منظمة التحرير الفلسطينية ، والتي هي اليوم إذاعة « صوت فلسطين » من رام الله بعد اتفاق السلام الفلسطيني الاسرائيلي والتي بدأت في ١٩٩٤/٧/٢ .

وبعده :

فإن الحاجة ماسة لدراسة الفن الإذاعي الفلسطيني في مراحله المختلفة ، صعوباته ومقوماته ، وتأثيراته ، وامتداداته العربية والدولية ، ودور هذه الإذاعات في خدمة القضية الفلسطينية ، ومن المهم أيضاً ، دراسة الإذاعات الفلسطنطة في سياق الإذاعات العربية ، في مصر وسوريا والعراق وغيرها ، لتوثيق هذا العمل الكبير ، وتلك مهمة الباحثين والدارسين من الشباب الواعي ، وخريجي أقسام الإعلام في فلسطين بوجه خاص الذين يسهمون بأدوارهم في التأسيس للدولة الفسطينية المأمولة .

المصادر

١ - حسن الحسن : الرأي العام والإعلام والعلاقات العامة ، (بيروت ، الدار اللبنانية للنشر والعلاقات العامة ، بدون تاريخ) ص ١٢٩ .

٢ - فؤاد بن حاله : الحرب الإذاعية ، ترجمة انشراح الشال ، (القاهرة ، دار نهر النيل، ١٩٨٨) ص ٤٥ .

٣ - جيهان رشتي : النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية ، (القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٨) ص هـ .

٤ - عصام حماد : « أنا مذيع قديم » جريدة الرأي الاردنية ، (عمان ، الأربعاء، ١٩٨٤/٣/٢٨) ص ١١ .

٥ - حسين أبو شنب : الإعلام الفلسطيني (عمان ، دار الجليل للدراسات والأبحاث الفلسطينية ، ١٩٨٨) ص ٣٩ .

٦ - ماجي الحلواني : الإذاعات العربية ، ط ١ (القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٢) ص ٦٦ .

٧ - حسين أبو شنب : الإعلام الفلسطيني ، م.س.ذ ، ص ٨٧ .

٨ - هيئة الإذاعة والتليفزيون الفلسطينية : (رام الله ، دائرة العلاقات العامة ، ١٩٩٦) .

٩ - عبد الرحمن ياغي : حياة الأدب الفلسطيني الحديث (بيروت ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر ، ١٩٦٨) ص ١٠٥ .

١٠ - مجلة الراديو المصرى : (القاهرة، العدد ، ٥٤ ، ١٩٣٦/٣/٢٨ ، السنة الثانية) .

١١ - بيان نويهض الحوت : مذكرات عجاج نويهض ، ستون عاماً مع القافلة العربية ، (بيروت ، دار الاستقلال للدراسات والنشر ، ١٩٩٣) ص ٢٥١ .

١٢ - نصرى الجوزى : تاريخ الإذاعة الفلسطينية (مجلة الأفق ، قبرص العدد ٢٧٩ ، ١٩٩٠/٢/٢٢) ص ١٢ .

١٣ - موسى الرجائي : (مقابلة في مكتبة بإذاعة الكويت ، السبت ١٩٨٦/١/١٨) .

١٤ - أحمد زكى : مجلة الراديو المصرى ، (مقابلة في العدد ١٥٥ ، ١٩٣٨/٣/٥) ص ٤ .

١٥ - مجلة الراديو المصرى : (القاهرة ، العدد ٤٤٩ ، ٢٣/١٠/١٩٤٣) ص ٣ .

١٦ - نصرى الجوزى : تاريخ الإذاعة الفلسطينية ، م.س.ذ. ص ١٢ .

١٧ - عزمى النشاشيبى : (مجلة الراديو المصرى ، القاهرة ، العدد ٦٠٩ ، ١٦/١١/١٩٤٦) .

١٨ - موسى الرجائى : (مقابلة) م . س . ذ .

١٩ - عزمى النشاشيبى : مجلة الإذاعة المصرية ، (القاهرة ، العدد ٧٠٧ ، ٢/١٠/١٩٤٨) .

٢٠ حسين أبو شنب : الإعلام الفلسطينى ، م . س . ذ . ص ٣٦ - ٤٠ .

٢١ - بيان نويهض الحوت : مذكرات عجاج نويهض ، م . س . ذ . ص ٢٥٦ .

٢٢ - نصرى الجوزى : تاريخ الإذاعة الفلسطينية ، الحلقة الثالثة ، (قبرص ، مجلة الأفق ، الدور ٢٨١ ، ٧/٣/١٩٩٠) ص ١٢ .

٢٣ - عزمى النشاشيبى : مجلة الراديو المصرى ، (القاهرة ، العدد ٦٠٩ ، ١٦/١١/١٩٤٦) ص ٧ .

٢٤ - هنرى كتن : فلسطين فى ضوء الحق والعدل ، ط ١ ترجمة وديع فلسطين ، (بيروت، مكتبة لبنان ، ١٩٧٠) ص ٢٨ .

٢٥ - عزمى النشاشيبى : مجلة الإذاعة المصرية ، م . س . ذ . ص ١٥ .

٢٦ - عزمى النشاشيبى : المصدر السابق نفسه .

٢٧ - عيسى الشعيبى : الوعى الكيانى والتطورات اللبنانية الفلسطينية ، (شئون فلسطينية ، بيروت ، العدد ٢٩٠ ، مايو ١٩٧٩) ص ٩٧ .

٢٨ - نصرح المجالى وآخرون : نظرات فى الإذاعة الصوتية فى الوطن العربى ، (تونس ، منشورات اتحاد إذاعات الدول العربية ، رقم ٣٥ ، ١٩٨٥) ص ١٧ .

٢٩ - حلمى أحمد شلبى : تاريخ الإذاعة المصرية ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥) ص ٦٨ .

٣٠ - حلمى أحمد شلبى : المصدر السابق نفسه ، ص ١٦١ .

٣١ - جامعة الدول العربية ، الأمانة العامة ، إدارة فلسطين ، الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ، المجموعة الأولى ، (القاهرة ، بدون تاريخ) ص ١٣٦ .

٣٢ - بيان نويهض الحوت : مذكرات عجاج نويهض ، م . س . ذ . ص ٢٥٠ .

٣٣ - بيان نويهض الحوت : المصدر السابق نفسه ص ٢٥١ .

٣٤ - عصام حماد : الإذاعة للجميع ، الطبعة الأولى (دمشق ، مكتبة الشرق ، ١٩٥٢) ص ١٤ .

٣٥ - عزمي النشاشيبي : مجلة الراديو المصري ، (القاهرة ، العدد ٦٠٩ ، ١٩٤٦/١١/٦) ص ٧ .

٣٦ - عزمي النشاشيبي : المصدر السابق نفسه ، ص ٧ .

٣٧ - عجاج نويهض : حديث الإذاعة ، الجزء الأول (القدس، المطبعة التجارية ، ١٩٤٢) ص د .

٣٨ - فدوى طوقان : أخي إبراهيم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، الطبعة الثانية ، (عمان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٩٣) ص ٤١ .

٣٩ - ماجي الحلواني : مدخل إلى الإذاعات الموجهة ، الطبعة الأولى ، (القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٢ - ١٩٨٣) ص ١٩ .

٤٠ - ندوى طوقان : أخي إبراهيم ، م.س.ذ. ص ٤٠ .

٤١ - نصري الجوزي : تاريخ الإذاعة الفلسطينية ، الحلقة الثانية م . س . ذ .

٤٢ - عيسى بن محمد الماضي : كيف ضاعت فلسطين ، (الكويت ، مكتبة المعلا ، ١٩٨٨) ص ٥٨ .

٤٣ - نصري الجوزي : الحلقة الثانية ، م . س . ذ . ، ص ١٣ .

٤٤ - عبد الرحمن ياغي : حياة الأدب الفلسطيني الحديث ، (بيروت منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٦٨) ص ١٠١ .

٤٥ - حسين أبو شنب : الإعلام الفلسطيني ، م . س . ذ . ص ٣٨ .

٤٦ - بيان نويهض الحوت : مذكرات عجاج نويهض ، عن الحركة الوطنية الفلسطينية ، (جريدة الحياة ، السبت ، ١٩٩٣/٧/١٧ ، العدد ١١١١٢) .

٤٧ - عصام حماد : رسالة خاصة للباحث من عمان بتاريخ ١٩٩٦/٩/١٨ .